

البردوني

أبو تمام وعروبة اليوم

أبو تمام وعروبة اليوم

أبو تمام وعروبة اليوم

ديسمبر 1971م

ما أصدق السَّيفَ إن لم يُنْضِهِ الكَذِبُ
وأكذبَ السَّيفَ إن لم يصدُقِ الغَضَبُ
بيضُ الصفائحِ أهدى حينَ تحمِلُها
أيدٍ إذا غَلَبَتْ يعلو بها الغَلَبُ
وأقبحُ النَّصرِ نصرُ الأقوياءِ بلا
فَهمٍ، سِوى فهمٍ كم باعوا وكم كَسَبوا
أدهى من الجهلِ عِلْمٌ يطمئنُّ إلى
أنصافِ ناسٍ طَغَوْا بالعلمِ واغتصبوا
قالوا: همُ البشرُ الأرقى، وما أكلوا
شيئاً كما أكلوا الإنسانَ أو شَرِبوا

ماذا جرى يا أبا تَمَّام؟ تسألني!
عفواً سأروي ولا تسأل: وما السَّبَبُ؟
يَذمى السؤالُ حياءً حينَ نسألهُ:
كيف احتفت بالعدا (حيفا) أو (الثَّقَبُ)

مَنْ ذَا يُلَبِّي؟ أَمَا إِصْرَارُ مُعْتَصِمٍ
 كَلًّا وَأَخْزَى مِنَ (الْأَفْشِينَ) ^(١) مَا صَلَّبُوا
 الْيَوْمَ عَادَتْ غُلُوجُ (الرُّومِ) فَاتِحَةً
 وَمَوْطِنُ الْعَرَبِ الْمَسْلُوبِ وَالسَّلْبِ
 مَاذَا فَعَلْنَا؟ غَضِبْنَا كَالرُّجَالِ وَلَمْ
 نَصْدُقْ، وَقَدْ صَدَقَ التَّنْجِيمُ وَالْكُتُبُ
 فَأُطْفِئِ شُهْبُ (الْمِيرَاجِ) أَنْجُمَنَا
 وَشَمْسَنَا، وَتَحَدَّتْ نَارُهَا الْخُطْبُ
 وَقَاتَلَتْ دُونَنَا الْأَبْوَاقُ صَامِدَةً
 أَمَا الرُّجَالُ فَمَاتُوا ثَمَّ أَوْ هَرَبُوا
 حُكَّامُنَا إِنْ تَصَدَّوْا لِلْحِمَى اقْتَحِمُوا
 وَإِنْ تَصَدَّيْ لَهُ الْمُسْتَعْمَرُ انْسَحَبُوا
 هُمْ يَفْرَشُونَ لَجِيْشِ الْغَزْوِ أَعْيُنَهُمْ
 وَيَدْعُونَ وَثُوبًا قَبْلَ أَنْ يَثْبُوبُوا
 الْحَاكِمُونَ وَ(وَاشْنَطْنَ) حُكُومَتُهُمْ
 وَاللَّامِعُونَ وَمَا شَعُّوا وَلَا غَرَبُوا
 الْقَاتِلُونَ نَبُوْعَ الشَّعْبِ تَرْضِيَةً
 لِلْمُعْتَدِينَ وَمَا أَجَدَّتْهُمْ الْقُرْبُ

(١) حيدر الأقشين: قائد جيش المعتصم، فخانه فصلب وأُحرق، وقال أبو تمام في حرقه رائيته الشهيرة: «الحقُّ أبلج والسيوفُ عواري»... إلخ.

لهم شُمُوخُ (المُثَنَّى) ظاهراً ولَهُمْ
هُوَ إِلَى (بَابِكَ الْخَزْمِيِّ) ⁽¹⁾ يَنْتَسِبُ

إِذَا تَرَى يَا (أَبَا تَمَام) هَلْ كَذَبْتُ
أَحْسَابُنَا، أَوْ تَنَاسَى عِرْقَهُ الذَّهَبُ؟

عُرُوبَةُ الْيَوْمِ أُخْرَى لَا يَنْمُ عَلَى
وَجُودِهَا اسْمٌ وَلَا لَوْنٌ وَلَا لِقَبُ

تَسْعُونَ أَلْفًا لـ (عُمُورِيَّةً) اتَّقِدُوا
وَلِلْمُنَجِّمِ قَالُوا: إِنَّا الشُّهُبُ

قِيلَ: انْتَظَرُوا قِطَافَ الْكَزْمِ، مَا انْتَظَرُوا
نُضْجَ الْعِنَاقِيدِ، لَكِنْ قَبْلَهَا التَّهْبُوا

وَالْيَوْمَ تَسْعُونَ مَلِيُونًا وَمَا بَلَّغُوا
نُضْجًا، وَقَدْ عُصِرَ الزَّيْتُونُ وَالْعَنْبُ

تَنْسَى الرُّؤُوسُ الْعَوَالِي نَارَ نَخْوَتِهَا
إِذَا امْتَطَاهَا إِلَى أَسْيَادِهِ الذَّنَبُ

(حَبِيبُ) وَافَيْتُ مِنْ صَنْعَاءَ يَحْمِلُنِي
نَسْرٌ وَخَلْفَ ضُلُوعِي يَلْهَثُ الْعَرَبُ

مَاذَا أَحَدْتُ عَنْ صَنْعَاءَ يَا أَبَتِي؟
مَلِيحَةٌ عَاشَقَاهَا السَّلُّ وَالْجَرَبُ

(1) المثنى بن حارثة الشيباني: الفارس الشهير، وبابك الخرصي: قرمطي وهو أحد القادة الذين قاوموا الدولة العباسية.

ماتت بصندوقٍ (وضّاح)^(١) بلا ثمنٍ
ولم يَمُتْ في حشاها العِشْقُ والطَّرْبُ
كانت تُراقبُ صُبْحَ البَعَثِ، فانبعثت
في الحُلُمِ ثمّ ارتمت تغفو وترتقبُ
لكنّها رُغِمَ بُخْلُ الغَيْثِ ما بَرِحَتْ
حُبلى وفي بطنها (قحطان) أو (كربُ)
وفي أسمى مُقلتيها يغتلي (يَمَنُ)
ثانٍ كحُلُمِ الصُّبا، ينأى ويقتربُ

(حبيبُ) تسألُ عن حالي وكيف أنا؟
شَبَّابَةٌ في شفاءِ الرِّيحِ تنتحبُ
كانت بلادُكَ (رَحْلاً)، ظَهَرَ (ناجية)
أمّا بلادِي فلا ظَهْرٌ ولا غَبَبُ
أزْعَيْتَ كُلَّ جَدِيبٍ لَحْمَ راحلةٍ
كانت رَعْتُهُ وماءُ الرِّوَضِ ينسكبُ
ورُحْتُ من سَفَرٍ مُضْنٍ إلى سفرٍ
أضنّى، لأنَّ طريقَ الرِّاحَةِ التَّعَبُ

(١) وضّاح: عبد الرحمن بن إسماعيل، شاعر يمني غلب عليه لقب (وضّاح) لإشراق وجهه ووضوحه. أحَبَّتْهُ (أم البنين) زوج الخليفة (الوليد بن عبد الملك) وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبأته في صندوق، وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كانت تحت بساطه.

لَكِنْ أَنَا رَاحِلٌ فِي غَيْرِ مَا سَفَرٍ
 رَحْلِي دَمِي وَطَرِيقِي الْجَمْرُ وَالْحَطْبُ
 إِذَا امْتَطَيْتَ رَكَاباً لِلنُّوَى فَأَنَا
 فِي دَاخِلِي أَمْتَطِي نَارِي وَأَغْتَرِبُ
 قَبْرِي وَمَأْسَاءُ مِيلَادِي عَلَى كَتْفِي
 وَحَوْلِي الْعَدَمُ الْمَنْفُوخُ وَالصَّخَبُ

(حَبِيبُ) هَذَا صَدَاكَ الْيَوْمَ أَنْشِدُهُ
 لَكِنْ لِمَاذَا تَرَى وَجْهِي وَتَكْتَنِبُ؟
 مَاذَا؟ أَتَعْجَبُ مِنْ شَيْبِي عَلَى صَغَرِي؟
 إِنِّي وَلِدْتُ عَجُوزاً، كَيْفَ تَعْجَبُ؟
 وَالْيَوْمَ أَذْوِي وَطِيَشُ الْفَنِّ يَعْزِفُنِي
 وَالْأَرْبَعُونَ عَلَى خَدَّيْ تَلْتَهَبُ
 كَذَا إِذَا ابْيَضَّ إِيْنَاغُ الْحَيَاةِ عَلَى
 وَجْهِ الْأَدِيبِ أَضَاءُ الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ
 وَأَنْتَ مِنْ شَبْتٍ قَبْلَ الْأَرْبَعِينَ عَلَى
 نَارِ (الْحِمَاسَةِ) تَجْلُوهَا وَتَنْتَخِبُ
 وَتَجْتَدِي كُلَّ لَصٍّ مُتَرَفٍّ هِبَةً
 وَأَنْتَ تُعْطِيهِ شِعْراً فَوْقَ مَا يَهَبُ
 شَرَفَتْ غَرَبَتْ مِنْ (وَالٍ) إِلَى (مَلِكٍ)
 يَحُكُّكَ الْفَقْرُ أَوْ يَقْتَادُكَ الطَّلَبُ

طَوَّفَتْ حَتَّى وَصَلَتْ (الموصلَ) انطفأت
 فيكَ الأمانِي ولم يشبَعْ لها أربُ
 لكنَّ مَوْتَ المَجِيدِ الْفَذُّ يبدأهُ
 ولادةً من صِباها ترضعُ الحَقْبُ

* * *

(حبيبُ) ما زال في عَيْنِكَ أُسْئِلَةُ
 تبدو وتَنسى حكاياها فتنتقبُ
 وما تزالُ بحلْقِي أَلْفُ مُبْكِيَةٍ
 من رهبةِ البَوحِ تستحيي وتضطربُ
 يكفِيكَ أَنَّ عِدانا أَهدروا دَمنا
 ونحنُ من دِمنا نحسو ونحتلبُ
 سحائبُ الغزو تشويننا وتحجبنا
 يوماً ستحبِلُ من إرعادنا السُّحُبُ
 ألا ترى يا (أباتمَّامَ) بارِقنا
 (إنَّ السَّمَاءَ تُرَجِّي حينَ تحتجبُ)

❁ ❁ ❁